

من اذاقة الاسرار في تحقيق معنى الجبر والاختيار

۳۲۲

بسم الله الرحمن الرحيم وبك نستعين

سبحان الذي اخبرنا في الكتاب المجيد عن قول اهل الجنة الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت
رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم
تعملون فنبهنا بهذا الكلام على ان الهداية والدلالة على طريق
الحق وما يوجب النجاة في الاخرة من جانب الله والعمل المورث للجنة
والثواب من جانب اهل الجنة فعقل ذلك من عقل وجهل من جهل
وما يعقلها الا العالمون ثم انبأنا في قوله وهديناه النجدين فلا اقتحم
العقبة ان نسبة الهداية الى ذاته والاقتحام الى الانسان فاقام
علينا الحجة وقطع العذر فلم يبق لنا عذر بعد هذا البيان و
امرنا بالصلوة على الواسطة بينه وبين الخلق في تبليغ احكام الشرع
وتعليم اسرارها فقال يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
فقلنا صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم زاد في شانهم تعظيما
وتكريما وبعد فيقول العبد الضعيف احمد بن سليمان
كان الله تعالى له في كل حين ومكان قد كتبت في سالف الزمان

رسالة فی تحقیق معنی الجبر والاختیار واوردت فیهما ما بلغنی
من اقوال العلماء الاخیار وتکلمت فیه بما سنح لی من النقض والابرام
واشبعت علی حسب الطاقة فی تحقیقهما الکلام ثم لما الفت
کتاب فیوض القدس اوردت فی بحث القدرة مسیلة خلق الافعال
وزدت فیه ثانیا علی ما رقمت اولا فی تلک الرسالة بعض التحقیقات
علی ذلک المنوال ثم لما وفقت لمقابلة کتاب احیاء علوم الدین
للامام الهمام حجة الاسلام ابی حامد محمد الغزالی اعلی الله درجته
فی دار السلام اطلعت علی مقالات متعددة فی مواضع متفرقة
فی تحقیقه لمعنی الجبر والاختیار وجولانه فی مضمار اظهار الدقایق
والاسرار فاردت ان اذکر ما اورده الامام واکتب ما افاض
الله تعالی فی هذا الاوان تبصرة لذوی البصیرة النافذة
من الاخوان وسمیت هذه الرسالة بعد ترتیبها علی ست
مقالات وخاتمة اخاضة الاسرار فی تحقیق معنی الاختیار و
اسال الله التوفیق وبیده ازمة التحقیق المقالة
الاولی فیما اورده فی کتاب التوبة من الاحیاء وهو قوله ان التوبة

عبارة عن معنى يلتئم من ثلاثة امور مترتبة علم وحال وفعل
فالعلم هو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد
وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين
غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب
فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله
تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت
لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث
من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل
له تعلق بالحال وهو الترك للذنب الذي كان ملابسا له
وتعلق بالاستقبال وهو العزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب
الى اخر العمر وتعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء
ان كان قابلا للجبر والقضاء ثم قال بعد ذلك وجوب التوبة
ظاهر بالآيات والاخبار والاجماع منعقد من الامة على وجوبها
اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدة
من الله وهذا داخل في وجوب الايمان ومن معا:

المعجم

المعاصيه فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال وتدارك ما سبق
من التقصير فى سابق الاحوال وذلك لاشك فى وجوبها
واما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة
وبه تمام التلافى فكيف لا يكون واجبا بل هو نوع الم يحصل لا محالة
عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع فى سخط الله
تعالى فان قلت تالم القلب امر ضرورى لا يدخل تحت الاختيار
لا يعنى ان العلم بخلقه العالم ويحدثه فى نفسه فان ذلك
محال بل العلم والندم والفعل والارادة والقدرة فى الكل من خلق
الله تعالى وفعله والله خلقكم وما تعملون هذا هو الحق عند ذوى
البصائر وما سوى هذا ضلال فان قلت افليس للعبد اختيار
فى الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق
الله تعالى بل الاختيار ايضا من خلق الله والعبد مضطر فى الاختيار
الذى له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذة
خلق الشهوة للطعام فى المعدة وخلق العلم فى القلب بان هذا
الطعام مسكن للشهوة وخلق الخواطر المتعارضة فى ان هذا

الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقق العلم
بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه ولمثل هذا المعنى دخل العلم تحت م

الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله ام لا ثم خلق الله العلم بانه لا مانع فعند اجتماع هذه الاسباب يتجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد قوة الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فيحصل الحركة فيكون الحركة بخلق الله تعالى بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما من خلق الله تعالى وانجزام الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لهذه السنة تبديلا فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حيوة وما لم يخلق ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة الجزمة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث هذا الميل

تاما

تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المآل ولا يخلق
العلم ايضا الا باسباب اخر ويرجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم في المحل
الطبيعي ابدا يستتبع الارادة الجازمة والارادة والقدرة ابدا
يستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله
تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط للبعض فلذلك يجب تقدم البعض
وتاخر البعض كما لا يخلق الارادة الا بعد العلم ولا يخلق العلم
الا بعد الحيوة ولا يخلق الحيوة الا بعد الجسم فيكون خلق الجسم
شرطا لحدوث الحيوة لا ان الحيوة يتولد من الجسم ويكون
خلق الحيوة شرطا لخلق العلم لا ان العلم يتولد من الحيوة
ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون
خلق العلم شرطا لجزم الارادة لا ان العلم يولد الارادة ولكن
لا يقبل الارادة الا جسم في عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان
ترتيب لا يقبل التغيير لان تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف
استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من
الجود الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان

للاستعداد بسبب الشروط ترتيبًا كان لحصول الحوادث

بفعل الله ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي

مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلمح البصر ترتيبًا كليا

لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدرة لا يتعداها

وعنه العبارة بقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء

الكلي الازلي العبارة بقوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر

واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر ومن

جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة

في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى

القصد وبعد علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت

من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر

تحت قهر التقدير سبق لاهل عالم الملك والشهادة المحجوبين

عن عالم الغيب والملكوت انه الفاعل وقالوا ايها الرجل قد تحركت

وكتبت ورميت ونودي من وراء حجاب الغيب وسرادق

الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما قتلتم

ولكن

بحبوحة الدار وسطها

ولكن الله قتلهم قاتلوهم يعذبهم الله بايديهم وعن هذا تحير
عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر
محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل الى انه كسب
ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت
لظهر لهم ان كل واحد صادق من وجه وان القصور شامل
لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بحواشيه
وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب
فانه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يطلع على غيبه احد الا من
ارتضى من رسول وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز
الارتضاء ومن حرك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية
تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الاسباب
انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا ان لا خالق الا الله ولا مبدع
سواه انتهى كلام الامام واقول الذي يظهر من تقريره في هذا
المقام هو ان العلم والقدرة والارادة واجزاءها والفعل كلها
من خلق الله تعالى وان العبد مضطر في صورة المختار ولكن

العبد مختار انما هو باعتبار تحقق انجزام الارادة الذي يسمى
اختيارا في سلسلة مبادي الفعل للعبد وان كان ذلك
الانجزام ايضا بخلق الله تعالى وليس الامر كما زعم فان جزم
الارادة وتصميمها بعد تردد الخواطر المتعارضة ليس مما ينساق
اليه الاسباب بطريق الاضطرار وليس هو بخلق الله تعالى حتى
يلزم الجبر بل هو باختيار العبد وايجاده كما ذهب اليه المحققون
من الماتريدية وصرح بذلك المحقق ابن الهمام في كتاب
المسايرة وعند هذا ينقطع سلسلة الاضطرار فانه وان كان
العلم بذات الفعل وبانه نافع ولا مانع منه والميل والقدرة
والارادة كلها ليس من قبل العبد بل بايجاد الله تعالى فيه الا
ان العزم والتصميم من جانبه وايجاده بعد اذن الله وتخلية
سبيله وبعد ايجاد العبد لذلك العزم والتصميم يتحقق من الله
ما اراد الله تعالى وجوده ولا يفعل العبد فعلا الا باذن الله
وتخليته وهذا ليبقى سلطنته في كل آن ويتحقق صحة الا
والامتحان ويصح العدالة ويرتبط بالطاعة الثواب

وبالمعصية

بالحطه لمعاصي العقاب بالنيران وبما ذكرنا ظهر ان قوله فاذا حصل
انجزام الارادة بخلق الله تعالى اياها وقوله فيكون الحركة بخلق
الله تعالى بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما من
خلق الله تعالى غير صحيح بل ذلك الانجزام ليس بخلقه وانما هو
بايجاد العبد كما عرفت فان قلت كيف يكون الجزم والتصميم
بايجاد العبد وقد اقام الامام فيما سبق من كتاب قواعد العقائد
من الاجار الادلة العقلية على بطلان كون غير الله تعالى موجد
الشيء واورد الايات الكريمة من قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون
وقوله تعالى قل الله خالق كل شيء وقوله تعالى وخلق كل شيء وامثال
ذلك الدالة على ان الكل من خلق الله تعالى فنسبة الايجاد
الى العبد باطل مخالف للنصوص القاطعة والمادة العقلية
الدالة على خلاف ذلك قلت قد اجاب عنه المحقق ابن الهمام
بان هذه الايات انما تدل على ما ذكر لو لم تكن عمومات تحتمل
بعض فاما اذا كانت عمومات قابلة له ووجد ما يوجب
ص فلا تكن الامر كذلك وذلك المخصص امر عقلي وهو

ان ارادة العموم فى تلك الايات يستلزم الجبر المحض المستلزم
لضياع التكليف وبطلان الامر والنهى واما ما اورده من العقليات
الدالة على ان الكل بخلق الله تعا فليس شئ منها تاما على ما يعلمه
الواقف عليها بادنى تامل وكذا حال ما ذكره غيره من العقليات
كيف ولو تم شئ منها استلزم بطلان التكليف وتعلق القدرة
بلا تاثير لابد فيه لان الموجب للجبر ليس سوى ان لا تاثير لقدرة
العبد فى ايجاد فعله وهو باطل وبعد ملزوم الباطل باطل هذا
خلاصة ما اورده ذلك المحقق فى المسايرة وبه يظهر ان ما ادعاه
الامام بقوله هذا هو الحق عند ذوى البصائر وما سوى هذا
ضلال ليس بحق بل هو داخل فيما حكم به على ما سواه ولست
انا بمصرح لبطلان مذهبه وفساد قوله وهذا ابن الهمام ينادى
باعلى صوته على بطلان ما قاله الامام وحسبك ما اورده فى
المسايرة فى هذا المقام لتحقيق هذا المرام فافهمه ان كنت من ذوى
الافهام وههنا نكتة ينبغى التفطن لها وهي انه اذا تردد الخواطر
المتعارضة فى فعل يحتاج انجزام الارادة الى استعمال قوة التفكر

لطل

لطلب الترجيح بينها بارادة عقلية او وهمية وهناك يتحقق حركة
نفسانية في ذلك الطلب اذ ربما يكون هذا الشئ ملائما بوجه
ومنافرا بوجه اخر ككونه ملائما لبعض الحواس غير ملائم لبعضها
او ملائما للحس غير ملائم للعقل او بالعكس او ملائما للحس والعقل
غير ملائم بحسب بعضها ويوجد بسبب كل ملائمة داع وبحسب
كل منافرة صارف فاذا طلبنا الترجيح ورجحنا الدواعي على
الصوارف حدث عزم جازم على الفعل ويكون محلا للثناء
والملامة والمدح والذم والثواب والعقاب بحسب حسن
الاختيار وقبحه ثم لهذا الترجيح مراتب متفاوتة بحسب ازدياد
الدواعي والصوارف وقلتها بحيث لا تكاد تحصى وهو مضمار
جهاد النفس ومعيار اتصافها بالاقدام والاحجام بحسب القوة
والضعف ومحك اصطبارها في مقام الاختبار والامتحان
وههنا يتحقق الجهاد الاكبر ويتميز القوي من الضعيف
بحال من يقدر على صرف داع ضعيف يدعوه الى هواه
الداعي القوي ينهزم وينكص على عقبيه ومنهم من جاهد

فی الله حق جهاده ویصرف الدواعی التی فی القوة کالجبال الرواسی

وکلما کان الدواعی والصوارف اکبر کان الامر فی الجهاد

اصعب ثم یتفاوت الدرجات ههنا بحسب ازدیاد الیقین

والرضا والتسلیم والمحبة والمشاهدة الی غیر ذلک من الامور التی

لا تکاد تنضبط وبما ذکرنا ظهر ان لانجزام الارادة عند تردد

الخواطر المتعارضة مهادا واسعا ومجالا فسیحا یبعد من العاقل

المتفطن سیما مثل الامام البالغ فی التفطن اقصی المقام ان یغفل

عن ذلک ویطوی عن تحقیقه کشحا ویقنع بمجرد لفظ ویضرب

عن تفصیل معناه صفحا الا ان مفاتیح العلوم بید الله یعطیها

من یشاء من عباده والحمد لله علی نعمائه وارفاده ثم ما ذکره

الامام بقوله قالوا ایها الرجل تحرکت وکتبت ورشقت

من وراء حجب الغیب وسرادقات الملکوت وما رمیت

اذ رمیت ولکن الله رمی وما قتلت اذ قتلت ولکن الله

قتلهم فنقول نحن لا ننکر ان بعض الافعال الذی یترتب علیه

الاثار الخارجة عن طوق البشر لیس بایجاب العبد بل هو بایجاد

المجتهد التام

تعا

ورمي الرسول صلى الله عليه وسلم وقتل الصحابة للكفار
يوم بدر من هذا القبيل فان ايصال التراب بكف واحد
منه الى ابصار جمع كثير من المشركين ليس في مقدرة البشر
وانما هو شان خالق القوى والقدر وكذا قتل فئة قليلة
من المسلمين الذين ليس لهم عدة المحاربين لجماعة كثيرة
من الكفار المسلحين ولا يتحقق هذا الامر في جميع الافعال
حتى يقال ما كتبت وما تحركت الا ترى انه لو قتل رجل نملة
او اجتمع مائة رجل مثلا على رجل واحد ضعيف بحيث يمكن ان يقتله
رجل واحد ايضا ثم حملوا عليه وقتلوه لا يقال في هذا المقام ما قتلوه
ولكن الله قتله لانه لا بد لهذه النسبة من شان عظيم وامر جسيم وهذا
ظاهر عند المصنف كيف ولو صح هذا باعتبار ما ذكره الامام لصح في
جميع الافعال فلا يظهر لتخصيص الله تعالى مثل هذه الافعال وجه بل
يكون من قبيل اللغو الموهم لخلاف الواقع الواجب تنزيه كلام الله
تعالى الله عما يقولون والله المستعان على ما يصفون
ـــ الثانية فيما ذكره في كتاب الصبر والشكر من الاحياء وهو